الحلقة الخامسة عشرة

(1) (منزل مصطفى الأسير حيث تنزل عائلة الأسير..
المنزل غاص بحقائب الأسرة وأكياس الكتب)
الأسير: (لمصطفى) أخبرني ما حال محمود ومحمد..
مصطفى: ما زالا في مصر.. محمود التحق بالأزهر لدراسة الفقه والحقوق، ومحمد لا زال له عام في كلية الطب، ولقد تزوج طبيبة مصرية تعمل في القصر العيني.
حنيفة: ماذا أنجبت زوجتك في غيابنا؟
مصطفى: بنتا وسمتها حنيفة.. وعمرها الآن سنتان.
حنيفة: سأذهب لأراها.. فريدة متعبة قليلا من الرحلة، وأريد لها أن ترتاح (تخرج وحسن يتبعها)
خالد: انني أعتذر.. سأذهب لرؤية أهلي..
مصطفى: ليس قبل أن تتغذى معنا.. زوجتي تهيئ الغذاء ولا تلبث أن تنادينا..
حنيفة: سأذهب لرؤيتها..ان فريدة متعبة قليلا من الرحلة وأريد لها أن ترتاح (تخرج ويتبعها حسن)
الأسير: (الى مصطفى) أريد أن تستأجر لي بيتا متسعا بخمسة غرف، وصالة رحبة، نوافذه جنوبية وغربية وتحيطه حديقة، وتفرشه لي بأثاث مناسب. ولا تنس أن تكون المكتبة فيه كبيرة لأرتب كتبي التي جئت بها وأنقل اليها محتويات المكتبة في صيدا! (يناوله كيس القطع الذهبية ليأخذ حاجته منها) أريد أن يجهز كل شيء خلال أسبوع لأننا سنقيم حفلا لخطوبة فريدة وخالد..
مصطفى: (الى خالد) ما هذه الأخبار المفرحة؟ أن نوثق صداقتنا القديمة بعلاقة أوثق، وتنضم لشلتنا من الأدباء والشعراء، وكلهم من رفاقك الذين تعرفهم! كلنا نقرأ أشعارك وأشعار والدي في الجوائب..
خالد: لن أبقى هنا طويلا.. أخذت إجازة شهر للخطوبة وسأعود الى عملي..
مصطفى: سآخذ أنا إجازة أسبوع وأذهب وإياك في الغد لتحضير ماتتطلبه هذه الحفلة!
خالد: سأشارك في كل ما يتعلق بفريدة، أثاث غرفتها وثيابها..

الأسير: أنا سأقوم بهذه الواجبات، فابق ما معك لحياتك المقبلة معهـا (تدخل حنيفة.. ويدخل وراءها حسن)
حنيفة: هيا يا فريدة.. فرشت لك في غرفة الضيوف لترتـاحي قبـل الغذاء..
حسن: أعطني يا أبي مفتاح الحقيبة التي وضعت فيها المجهر.. انـه في الحقيبة التي رتبت فيها ثياب فريدة..(الأسير يعطيه المفتـاح مـن سلسلة مفاتيحه)
الأسير: أنا ذاهب أيضا لأرى حفيدتي وألعب معها.. (تخـرج فريـدة وحسن لفتح الحقيبة، ويتبعهما الأسير وحنيفة)
خالد: لو رضي والدك لجعلت حفلة الخطوبة عرسا، ولكنه لا يريد أن أقربها حتى يتم شفاءها..
مصطفى: (بقلق) ما بها؟
خالد: أصيبت منذ ثلاثة أشهر بنزلة صدرية ولا يزال يلازمها السعال والحمّى.. وأخشى أن تكون الرحلة البحرية قد زادت حالتها سـوءا.. (تسمع نوبة سعالها من بعيد) هل تعرف طبيبا نستشيره في حالها؟
مصطفى: أعرف واحدا لديه خبرة واسعة في الأمراض.. درس فـي ألمانيا.. وعنده أجهزة متطورة ليس عندنا مثلها..

(2) (حفلة الخطوبة تجري بالطريقة القديمة زمن الأسير.. النـساء في الصالة يرقصن ويمرحن ويهتفن بالزغاريد أمام العـروس المتجلية كأنها ملكة على عرشها وقد خضبت وكحلت وسـوي حاجباها وأعملت الماشطة فنها بشعرها وجعلته اكلـيلا فـوق رأسها، قبل أن تتهيأ للظهور أمام الجمع الغفير مـن قريباتهـا وقريبات خطيبها.. والرجال في غرفـة الـضيوف ينتظـرون وصول موكب العريس بين أهازيج رفاقه قادمـا مـن منزلـه يرتدون القنابيز الجديدة والـسدريات المزركـشة والـسراويل السوداء الفضفاضة، وعلى رؤوسهم الطرابيش التركية تتـدلى منها الشراريب. فاذا ما دخل العريس بـاب الحديقـة المزينـة بأنوار اللكسات الباهرة تهيأت النساء للبس أزرهن فوق ثيابهن، وانطلقت الزغاريد في أرجاء المنزل ودخـل العـريس وحـده ليلبس خطيبته خاتم الخطوبة وتلبسه بدورها مثله، فلا يرى غير وجه حبيبته التي بدت في تلك اللحظة بثوبها الفضفاض الليلكي كملاك هبط من السماء ليسعده طوال حياته!)

(3) (فريدة في فراشها.. ازداد سقمها واستثيرت أشواقها.. عيناها تتوهجان بالحمّى فتبدوان كأجمل عينين رآهما خالد في اتساعهما وطول رموشهما والحمرة الخفيفة التي تشوب بياضهما.)

خالد: يحرقني الشوق اليك.. تعافي وارفقي بي.. لا تتخلي عني يا فريدة.. سأغضب من الملائكة نفسها ان خطر لها أن تنتزعك مني.. ما هكذا يفعل الحبيب بحبيبه.. لا تحرميني من محياك الصبيح.. لا تحرميني من بحر الهوى الكامن في عينيك (يدخل الأسير)

الأسير: لا يجوز أن تختلي بها ياخالد! الخطبة ليست عقد زواج.. أنا أكون في غرفة الضيوف أستقبل زواري من الأصدقاء، وحنيفة في المطبخ مع زوجة مصطفى، ومصطفى في عمله.. من أجل الحرام والحلال سآتي بشيخ يعقد زواجكما ويكون المقدم والمؤخر صوريا مقبوضا سلفا.. ولك بعد ذلك أن تناجيها وتناجيك كما يحلو لك، ولكن كما قلت لك مرة، لا تقربها حتى يمنّ الله عليها بالشفاء!..

(4) (عقد الزواج يجري وفريدة في الفراش.. مصطفى وأخ لخالد شاهدان.. الأسير قانط متفكر فيما آلت اليه حال فريدة..)

مصطفى: (لوالده) يا أبي لا يجب أن نقف مكتوفي الأيدي في حالة فريدة.. أعرف طبيبا متخرجا من ألمانيا لديه خبرة في هذا المرض وعنده أجهزة متطورة للجس واللمس وسماع دقات القلب ومجهر كبير لملاحظة إفرازات الصدر، والإستدلال منه على تطورالحالة.. يمكن لفريدة أن ترتدي قميصا لا يشف فيفحصها دون أن تعري صدرها..

الأسير: اذهب اليه أنت وخالد.. وليدخل زوجها معها!

(العربة تذهب بفريدة وخالد ومصطفى الى عيادة الطبيب.. ينزلون من العربة.. العيادة لها درج.. لا تتمكن فريدة من الصعود لوهنها.. يحملها خالد بين ذراعيه في الصعود والهبوط)

(فريدة تكتب رسالة لشهربان) هي المرة الأولى التي يضمني فيها وهو يصعد بي الدرج.. صدري على صدره، وقلبي تتسارع نبضاته لسماع نبضات قلبه.. يضمّني كفرخ حمام بين جناحي أمه.. وأتمنى أن تطول بي اللحظة العذبة وأموت بين يديه..

* * *